من انتحل الانصاف دينا . وانتحل الاوصاف فاختار العدل منها خدينا . شعر تبقى المقاطع محكمات
لو ان الشعر يلبس لارتدينا . ورسايله كنقط العروس اللايحة في البياض . او كوشي الربيع او قطع الرياض
برزت اغصانها الحالية وتبرجت . وتضوعت افنانها العالية وتارجت . وقد البسها القطر زهرا
وبحر خلالها نهرا . فاخذت زخرفها وازينت . ولاحت محاسنها غير محتجبة وتبينت . فبهرت من لها قابل
استغفر الله لابل شعر هي الحديقة الان صيبها . سوب الندي وجناها زهر الكلم . وقوافيه ديثت
قوادم الاتقان وخوافيه . بال محار يستدنثر الحصر . وباع مباريها يستشعر القصر . شعر
خطها روضة والفاظها الازهار يضحكن والمعاني ثمار . تبدي لمبصرها وتري . ما قال ابو عبيدة البحتري
وكلام كانه الزهر الصافي لرونق الربيع الجديد . مشرق في جوانب السمع ما تخلقه عوده على المستعيد
ومعان لو فصلتها القوافي لهجت ما لجرول من نشيد . حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد
بل هي اجل ما وصف عند التحقيق . وامعان النظر الصحيح والتدقيق . شعر ابن زهرا الرياض وهو اذا اما
طال عهدا بالغيث عاد هشيما . من قواف كانها الانجم الزهر سناها ازال الظلام البهيما .
وناهيك بمن اطلعته العلوم على جلايلها ودقايقها . وادلته الفهوم حاشا من يانعات حدايقها . وحيته
الحكم الرياضية بازاهرها وشقايقها . وارضعته الوزارة من ثديها . وحلت به الامارة صدر نديها .
وجعلته المرجوع اليه في تمييز جيد الامور ورديها . فغرس في ارض الرياسة من نخل السياسة وديها .
واعلا علم العدل واغمد سيف الانتقام . ودفع تنين الفتنة الذي فغرفاه للالتقام . والعهد اذ ذاك قريب
في وطن الاندلس الغريب . باختلاف الحال . وتوالي الامحال . والتجري على قتل الملوك . والتحري لقطع
الطرق ومنع السلوك . حيث اهواء المارقين ذات افتراق . وضلوع الصادقين في قلق واحتراق
وايدي الحق باطشة . وسيوف المحن الي الدما عاطشة . وعرش الحماية مثلول . وصارم الكفاية مفلول .
ونطاق الرعاية محلول . ودم الوقاية مطلول . وجيب النصيحة مملول . والنور السلطاني بنار اختلاف
الكلمة ملتهب . والعدو ينتهز الفرصة ويسلب الانفس والاموال وينتهب . وليس له في غير قطع شافة
المسلمين ابتغاء . وان عقد المهادنة في بعض الاحيان فهو يحسو في ارتغاء . وكلاب الباطل في دماء اهل
الحق والغدر . والله سبحانه وتعالى في خلقه ارادة نافذة وحكمة بالغة . فرقع لسان الدين ثوب الاندلس
ورفاه . وارغم رحمه الله الكفر الذي فغر فاه . وشمر عن ساعد اجتهاده . وحمى باللسان وباليد على دفاعه
وجهاده . حتى لاحت للنصر بوارق . وامنت بالحزم الطوارئ والطوارق . ثم ضرب الدهر باثر
وتقرب الوشاة . وهم من كان يخدمه ويغشاه . الى سلطانه الذي كان عزة اوطانه الذي كان يامنه ولا
يخشاه . حتى فسد عليه ضميره . وتكدر من سيع نخل نميره . فاحس بظاهر التغير . وصار في الباطن من
اهل التحير . واجال في قداح ارايه . والتفت الى جهة العدو من ورايه . فغر شمرا عن ذيله . في لمة من
خيله . الى اسد العرين . سلطان بني مرين . وكان اذ ذاك بتلمسان . وهو من اهل العلم والعدل
والاحسان . فاهتز لمقدمه . ولقيه بخاصته وخدمه . واكرم مثواه . وجعله صاحب نجواه .
ثم ادرك السلطان الحمام . وكسف بدره وقت التمام . فرجع لسان الدين الى فاس . واستنشق بها اطيب
الانفاس . وكثرت بعد تلك الاهوال . وتغيرت بسببه بين دوسا العدوة والاندلس الاحوال .
لما تحامى مكن العدا ولا سلم . وآل امره من الاغتيال . وما تنفع الاحتيال . الى ما علم . على يد بعض اعدايه
الذين كانوا يتربصون الدواير لا رد داير . فاصبح كامس الذاهب . وصارت امواله وضياعه عرضة
للناهب . وغص بذلك من كان من اوداه . واخذ الله ثاره . من بعض من حرك عليه المكر واثاره وتسبب
في هلاكه حتى انتثرت جواهر اسلاكه . ومات بدايه . فالعيون الى هذا الوقت على لسان الدين باكيه .
ونفوس الاكابر وغيرهم مما فعل به شاكيه . والالسنة والاقلام . لمقاماته في الاسلام حاكيه . فمن
كان بهذه السمات واكثر منها موصوفا . لا يقدر مثلي على تحبير التعبير عنه ويخشى ان تكون فكرته لحرفا
نقضت قطعا اوصوفا . ثم اني لما نكر على في هذا الغرض الالحاح . ولم تقبل اعذاري التي زندها شحاح
عزمت على الاجابة لما المذكور على من الحقوق . وكيف اقابل بره حفظه الله بالعقوق . وهو الذي ...
من احاديث الفضل الحسان والصحاح . فوعدته بالشروع في المطلب عند الوصول الى القاهرة المعزية
وازمعت المسير عن دمشق المحروسة المزية . والبس السفر منها من الخلع زيه . ورحلنا عن تلك الارجا
المتالقة . والقلوب بها وبمن فيها متعلقة . حللنا ديارا للغرام سرت بها . الينا صبا تجديد طيب نسيم
وباديه ردي الابتهاج لما تجاذبت . الف المنى بنهار داء نعيم . فما انشبتنا العيس اذ قذفت بنا
الى فرقة والعهد عن قديم . فان تك ودعنا الديار وربها . فما عهد نجد عندنا بذميم
ثم صحبنا اسماء اسرع جملة من الاعيان الى داريا المشابهة لدارين في رياها وحبذا ريا شعر
فيها ديارا للاديب لها العقد الجليل . تهدي لنا ارجاها ارجا من الزهر البليل
وبها الغصون تمايلت ميل الخليل على الخليل . ووصلنا عند الظهيرة وسرحنا العيون في بدايعها
النهيرة شعر منزل كالربيع حلت عليه . حاليات السحاب عقد النطاق . يمنع العين من طرائق حسن
تتجافى بها عن الاطراق . وقلنا بها . لما نزلنا بجانبها . وبتنا والسرور لنا نديم
وماء عيونه الصافي مدام . يسامر بالنسيم اذا تغنت . حمايمه ويسقيه الغمام
فيا لك من ليلة اربت في طيب النفح . على ليلة الشريف الرضي بالسفح . شعر

وعن

ونحن في روضة مفوفة . قد وشيت بالغمايم الوكف . تغني على زهرها فيوقظنا . وهنا هدير الحمايم الهتف
ودوحها من نداه في وجع . ومن لآلي الازهار في شنف . والغصن من فوقه حمامته . كانها همزة على الف
وما اعجب قول الوزير بن عمار . من وصف ذلك المضمار . الجامع للاثمار .
يا ليلة بتنا بها . في ظل اكناف النعيم . من فوق انماط الربا . من وتحت اذيال النسيم
وناهيك بمحل قريب من دمشق الغراء . تخلعت عليه حلل الحبور والسراء . وامدته بفضيانها . واودعته برق محياها
وماء حياها . فصار ناظرا للدوحات . عاطر الغدوات والروحات . مونق الانفاس والنفحات . مشرق الاسرة
والصفحات . هذا والقلوب من الفراق في قلق . ولسان الحال ينشدها . ومن علاقة وجد ليس يعلمها
الا الذي خلق الانسان من علق . ويحث على انتهاز فرصة اللقا . اذ هي غنيمة . ويذكر بقول من قال الدهر
موقظة ومنيمة .
تمتع بالرقاد على شمال ... فسوف يطول نومك باليمين
وتمتع من يحبك باجتماع ... فانت من الفراق على يقين
ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع . والكل ما بين واجم وباك ذو داع فتمثلت بقول من قلبه لفراق الاحباب
في انصداع . ودعتهم ودموعي ... على الخدود غزار ... فاستكثروا دمع عيني ... لما استقلوا وساروا . وقول
آخر يا وحشة من جيرة قد ناوا ... علو قدري في الهوي انحطا ... حكت دموعي البحر من بعدهم
لما رات منزلهم شطا . وحق لي الا اتسلى في ذلك بقول الاعزازي
لا تسلني عما جناه الفراق ... حملتني يداه ما لا يطاق
اين صبري ام كيف امسك دمعي ... والمطايا بالظاعنين تساق
فدعي نندب الطلول فهذي ... سنة قبل سنها العشاق
واعذلي ذوي العذول فكم ما ... ل بعطفي نسيم الخفاق
في سبيل الغرام ما فعلت بالعا ... شقين القدود والاحداق
يوم ولت طلايع الصبر منا ... ثم شنت غاراتها الاشواق
وبقول غيره
كنا جميعا والدار تجمعنا . مثل حروف الجميع ملتصقه ... واليوم صار الوداع يجعلنا . مثل حروف الوداع مفترقه
وقول آخر
حين هم الحبيب بالتوديع ... غيروني انه سحت دموعي
لم يذق ذوق طعم الفراق ولا شا ... هد حرقت لوعة الاسى ضلوعي
كيف لا اسفح الدموع على ربـ ... ـع حوى خير ساكن وجموع
هبك اني كتمت حالي الخفي ... زفرات المتيم المصدوع
اتاي يعرف الغرام بمن لا ... ح عليه الغرام بين الربوع
وقول من قال
اقول له عند توديعه ... وكل بعبرته مبلس ... لين قعدت عنك اجسادنا ... لقد سافرت معك الانفس
وقول الصابي
ولما حضرت لتوديعه ... وطرفا النوى نحونا اشوس ... هلكت لديه شرح يغني ... يليق به الحال اذ نعكس
لين سافرت عنك اجسادنا ... فقد قعدت معك الانفس
وقول المهذب ابن سعد الموصلي
دعني وما شاء التفرق والاسى ... واقصد بلومك من يطيعك او يعي
لا قلب لي فاعي الملام فانني ... اودعته بالامس عند مودعي
هل يعلم المتحملون بمهجتي ... ان المنازل خضبت من ادمعي
كم غادروا جرحا وكم لوداعهم ... بين الجوانح من غرام موجع
والسقم آية ما اجن من الجوى ... والدمع بينة على ما ادعي
وقول الكمال النوحي
كم ليلة قد بتها ارعى السها ... جرعا الفراقهم بمقلة ارمد
قضيتها ما بين نوم نافر ... وذفير مجهود وقلب مكمد
لم انس ايام السرور وطيبها ... بين الصبر وبين برقة نهمد
والروض قد ابدي بدايع نوره ... من ازرق ومفضض ومورد
والماء يبدو كالصوارم ساريا ... فيعيد من الصبا كالمبرد
والطير بين مسجع ومرجع ... ومغرد ومعدد ومردد
وقول القاضي بها الدين السنجاري
احبابنا ما لي على بعد المدى ... جلد ومن بعد النوى يتجلد
لله اوقات الوصال ومنظر ... نضر وغصن الوصل غض املد
اني يطيق اخو الهوى كتمانه ... والخد بالدمع المصون مخدد
ما بعد سفق الركاب تصبر ... عمن احب فهل خليل يسعد
يا سعد ساعد بالبكا اخا هوى ... يوم الوداع بكى عليه الحسد
وقول ابن الاثير
لم انس ليلة ودعوا . صبا وساروا بالحمول ... والدمع من زفرات الاسى . يجري فيعثر بالذيول
وقول الارجاني
ولما وقفنا للوداع عشية ... وطرفي وقلبي جامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة ... كاني سحاب والوشاة بروق
وقول بعضهم
لما حدي الحادي برحالهم . هيج اشواقي واشجاني ... وراح يثني القلب عن عزمهم . فهو لهم حاد ولي شاني